

إلهامات من القرآن

إختصار وإعداد: قدري جاد

إهداء للأستاذ: صفوت جيلاني

* تفسير القرآن/ التستري (ت 283 هـ)

{ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ }

بسم الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سُئل سهل عن معنى: { بسم الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ } فقال:
الباء بَهاء الله عزَّ وجلَّ: والسين سناء الله عزَّ وجلَّ والميم مجد الله عزَّ وجلَّ
والله: هو الإسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنى غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة لا ينال فهمه إلاَّ الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان
والرحمن: إسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام
والرحيم: هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع والابتداء في الأصل رحمة لسابق علمه القديم
قال أبو بكر: أي بنسيم روح الله اخترع من ملكه ما شاء رحمةً لأنه رحيم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

" الرحمن الرحيم " إسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر،

فنفى الله تعالى بهما القنوط عن المؤمنين من عباده .

* تفسير حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ)

{ بسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ }

قال أبو القاسم الحكيم: { بسم ٱلله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ } إشارة إلى المودة بدءًا حُكى عن العباس بن عطاء أنه قال:

الباء بره لأرواح الأنبياء بإلهام الرسالة والنبوة،

والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس
والميم منته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة .

***

وقال الجنيد في { بسم ٱلله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ }:

بسم الله هيبته، وفي الرحمن عونه، وفي الرحيم مودته ومحبته

وقيل: الباء في { بسم ٱلله } بالله ظهرت الأنبياء وبه فنيت

وبتجليه حسنت المحاسن وباستناره فتحت وسمحت .
وحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال: إن أهل المعرفة نفوا عن قلوبهم كل شئ

سوى الله عز وجل، وصفُّوا قلوبهم لله، وكان أول ما وهب الله تعالى لهم

فناهم عن كل شئ سوى الله قولوا بسم الله إلينا

فانتسبوا ودعوا انتسابكم إلى آدم عليه السلام
وقيل أيضاً: إن { بسم } لبقاء هياكل الخلق، فلو افتتح كتابه باسمه؛

لذابت تحت حقيقتها الخلائق إلا من كان من نبى أو ولى،

والإسم بنور نعيم الحق على قلوب أهل معرفته .
***
وقيل في { بسم ٱلله }: إنه صفات أهل الحقيقة لئلا يتزينوا إلا بالحق،

ولا يقسموا إلا به
وقال أبو بكر بن طاهر: الباء سر الله بالعارفين،

والسين السلام عليهم،

والميم محبته لهم .

وروى عن النبي ﷺ إنْ صح هذا، الباء بهاؤه والسين سناؤه، والميم مجده

وقيل: إن الباء في { بسم ٱللَّه } إلينا وصلهم إلى { بسم ٱللَّه }

و عن جعفر بن محمد عليه السلام قال:

{ بسم } الباء بقاؤه والسين أسماؤه والميم ملكه، فإيمان المؤمن ذكره ببقائه

وخدمة المريد ذكره بأسمائه، والعارف عن المملكة بالمالك لها.

وقال أيضاً:

{ بسم } ثلاثة أحرف: باء وسين وميم فالباء باب النبوة، والسين سر النبوة

الذي أسرَّ بها النبي ﷺ به إلى خواص أمته،

والميم مملكة الدين الذى أنعم به للأبيض والأسود،

وأما { ٱللَّه } فإن محمد بن موسى الواسطى قال:

ما دعى الله أحد باسم من أسمائه، إلا ولنفسه في ذلك نصيب، إلا قوله { ٱللَّه } ،

فإن هذا الإسم يدعوه إلى الوحدانية وليس للنقص فيه نصيب،

وقيل: كل أسمائه تقتضى عوضًا عند الدعاء إلا { ٱللَّه } ، فإنه اسم تفرد الحق به

وقيل: كل من قال: { ٱللَّه } فمن عادةٍ قالها_تركها_.. إلا غُيب عن شاهده،

وقام الحق بتوليته عنه، عند ذاك زالت العيوب والزلل .

***

وقال الحسين: بسم الله منك منزلة " كن " منه فإذا أحسنت أن تقول:

{ بسم ٱللَّه } وأنكرت فيه فضل من الله أن تقول الله وأنتم عند الغفلة والحيرة

تحققت الأشياء بقولك { بسم ٱللَّه } كما يتحقق له كن . .

{ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ }

وحُكى عن الشبلى أنه قال: ما قال الله أحد سوى الله، فإن كل من قاله قاله بحظ

وأنَّى تدرك الحقائق الحظوظ .

وقال أبو سعيد الخراز في كتاب درجات المريدين:

ومنهم من جاوز نسيان حظوظ نفسه، فوقع في نسيان حظه من الله

ونسيان حاجته إلى الله فهو يقول: لا أريد وما أقواه وما أنا ومن أين أنا، ضاع إسمى فلا إسم لى، وجهلت فلا علم لى، وضللت فلا جهل لى،

وأسوق إلى من يعرف أقول فيساعدنى فيما أقول، وإذا قيل لأحدهم ما تريد

قال: الله وما تقول الله قال وما علمت قال: الله فلو تكلمت جوارحه

لقالت: الله وأعضاؤه ومفاصله ممتلئة من نور الله المخزون عنده،

ثم يصيرون فى القرب إلى غاية لا يقدر أحد منهم أن يقول الله؛

لأنه ورد في الحقيقة على الحقيقة ومن الله على الله ولا حيرة،

ومعناه لا حيرة فيما فيه الحيرة.

***

وسُئل الحسين بن منصور :

هل ذكره أحد على الحقيقة فقال: كيف يذكر على الحقيقة من لا أمد لكونه

ولا علة لفعله ليس له كدُّك، ولا لغيبه هدَّك له من الأسماء معناها والحروف مجراها إذ الحروف مبدوعة والأنفاس مصنوعة، والحروف قول القائل

تنزغن ذلك من الأحوال خلقة، رجع الوصف في الموصف، وعمى العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار المُلكُ في المِلك، وانتهى المخلوق إلى مثله، عدا قدرة الظن، ودها نوره الغيبة .

***

وقيل: إن الألف الأول من اسمه الله ابتداؤه، واللام الأول لام المعرفة،

واللام الثاني لام الآلاء والنعماء والسطر الذي بين اللامين معانى مخاطبات الأمر والنهى، والهاء نهاية مما تكن العبادة عنه من الحقيقة لا غير .

وقيل: إن الألف آلاء الله، واللام لطف الله واللام الثانى لقاء الله والهاء هيبة بآلاء الله فَوَلِهَ به المحبون والمشتاقون حين عجزوا عن علم شئ منه .

***

وحُكى أن أبا الحسين النورى

بقى في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب، ويقول في ولَهِه ودهشه: الله الله، وهو قائم يدور فأُخبر الجنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا؟

فقيل: إنه يصلى الفرائض فقال: الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً

ثم قال: قوموا حتى نزوره إما نستفيد منه أو نفيده فدخل عليه وهو في ولهه

قال: يا أبا الحسين ما الذي دهاك؟ قال: أقول: الله الله زيدوا عليَّ

فقال له الجنيد: انظر هل قولك الله الله أم قولك قولك إن كنت القائل الله فالله

ولست القائل له وإن كنت تقوله بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله

فقال: نعم الود فسكنت وسكن عن ولهه ،وكان الشبلى يقول: الله

فقيل له: لم لا يقول لا إله إلا الله؟ فقال: لا أنفى به ضدًا.

---

* تفسير حقائق التفسير/ السلمي (ت 412 هـ)

{ بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ }

وقيل في قوله: الله هو المانع الذى يمنع الوصول إليه لما امتنع هذا الإسم عن الوصول إليه حقيقة كانت اللذات أشد امتناعاً لعجزهم في إظهار اسم الله، ليعلموا بذلك عجزهم عن ذكر ذاته .

وقيل في قوله الله: الألف إشارة إلى الوحدانية واللام إشارة إلى محو الإشارة،

واللام الثانى إشارة إلى محو المحو في كشف الهاء .

وقيل: إن الإشارة في الألف هو قيام الحق بنفسه وانفصاله عن جميع خلقه

ولا اتصال له بشئ من خلقه كامتناع الألف أن يتصل بشئ من الحروف ابتداء

بل تتصل الحروف به على حد الاحتياج إليه واستغنائه عنها .

وقيل: إنه ليس من أسماء الله عز وجل إسم يبقى على إسقاط كل حرف منه إسم الله إلا الله فإنه الله، فإذا أسقطت منه الألف يكون { لله } فإذا أسقطت إحدى لاميه يكون " له " فإذا أسقطت اللامين بقى " الهاء " وهو غاية الإشارات.

وأما وَلَهِ الخلق في تولهم فمنهم من وَلِهَ سره في عظمة جلاله،

ومنهم من وَلِهَ قلبه في وجوه معرفته، ومنهم من وَلِهَ لسانه بدوام ذكره.

وحكى عن ابن الشبلى قال: في تجلى الجنيد في ولهه: الله

فقال له الجنيد: يا أبا بكر الغيبة حرام أى أن ذكر الغائب غيبة

فإن كنت غائبًا فالذكر غيبه وإن كنت تذكره عن مشاهدة.. فهو ترك الحرمة.

***

وقيل: من قال الله بالحروف، فإنه لم يقل الله

لأنه خارج عن الحروف والخصوص والأوهام ولكن رضى منك بذلك

لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال .

***

وقيل إن معنى قول الله: إن الأسماء كلها داخل فى هذا الإسم وخارج منه،

يخرج من هذا الإسم معنى الأسماء كلها ولا يخرج هذا الإسم من إسم سواه

وذلك أن الله عز وجل يفرد به الإسم دون خلقه وشارك خلقه في اشتقاقات أساميه.

***

وقال بعض البغدادين: ليس الله ما يبدو لكم وبكم ووالله ما هذا فهو الله

هذه حروف تبدو لكم وبكم، فإذا انظهر انتفيت فمعناه ها هو الله،

وقال أبو العباس بن عطاء: قوله { ٱللَّهِ } هو إظهار هيبته وكبريائه.

***

وكتب أبو سعيد الخراز إلى بعض إخوانه:

هل هو إلا الله، وهل يقدر أحد أن يقول الله إلا الله، وهل يرى الله إلا الله،

وهل عرف الله أو يعرفه إلا الله، وهل كان قبل العبد وقبل الخلق إلا الله،

وهل الآن فى السماوات وفى الأرضين وما بينهما إلا الله؟

إذ لم تكونوا فكونوا بالله ولله.

***

قال أبو سعيد الخراز: رأيت حكيماً من الحكماء فقلت له:

ما غاية هذا الأمر قال: الله

وقيل: إن معنى الرحيم أى بالرحيم وصلتم إلى الله وإلى الرحمن والرحيم

بعث محمدًا ﷺ في قوله

{ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }:التوبة: 128

كأن معناه يقول: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وبالرحيم محمد وصلتم إلى أن قلتم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، والرحيم هو الذى يقبلك بجميع عيوبك إذا أقبلت عليه،

ويحفظك وإن أدبرت عنه أتم الحفظ فى العاجلة ، لاستغنائه عنك مقبلاً ومدبرًا.

***

قال ابن عطاء: فى إسمه { الرَّحِيمِ } مودته ورحمته،

سمعت منصورًا بإسناده عن جعفر فى قوله { الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ }

قال: هو واقع على المريدين والمرادين،

فإسم الرحمن للمرادين لاستغراقهم فى الأنوار والحقائق،

والرحيم للمريدين لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بإصلاح الظواهر،

والرحمن المنتهى بكرامته إلى ما غاية له

لأنه قد أوصل الرحمة بالأزل

وهو غاية الكرامة ومنتهاه بدءًا وعاقبة،

والرحيم وصل رحمته بالياء والميم

وهو ما يتصل به من رحمة الدنيا والهدى والأرزاق .

لطائف الإشارات / القشيري (ت 465 هـ) *

{ بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ }

الباء في بسم الله حرف التضمين؛ أي بالله ظهرت الحادثات، وبه وجدت المخلوقات، فما من حادث مخلوق، وحاصل منسوق، من عين وأثر وغبر،

وغيرٍ من حجر ومدر، ونجم وشجر، ورسم وطلل، وحكم وعلل

- إلا بالحق وجوده، والحق مَلِكُه، ومن الحق بدؤه، وإلى الحق عوده،

فبه وَجَدَ من وَحَّد، وبه جحد من ألحد، وبه عرف من إعترف،

وبه تخلَّف من اقترف.

***

وقال: { بسم ٱللهِ } ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم،

وللفَرْقِ بين هذا وبين القَسَم عند الآخرين، ولأن الاسم هو المسمى عند العلماء، ولاستصفاء القلوب من العلائق ولاستخلاص الأسرار عن العوائق عند أهل العرفان، ليكون ورود قوله { ٱللهِ } على قلبٍ مُنقًّىً وسرٍ مُصَفًّىً

وقوم عند ذكر هذه الآية يتذكرون من الباء (بره) بأوليائه ومن السين سره مع أصفيائه ومن الميم منته على أهل ولايته، فيعلمون أنهم ببره عرفوا سرّه،

وبمنته عليهم حفظوا أمره، وبه سبحانه وتعالى عرفوا قدره

وقوم عند سماع بسم الله تذكروا بالباء براءة الله سبحانه وتعالى من كل سوء، وبالسين سلامته سبحانه عن كل عيب، وبالميم مجده سبحانه بعز وصفه،

وآخرون يذكرون عند الباء بهاءه، وعند السين سناءه،

وعند الميم ملكه، فلما أعاد الله سبحانه وتعالى هذه الآية

أعني بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ في كل سورة وثبت أنها منها أردنا أن نذكر

في كل سورة من إشارات هذه الآية كلمات غير مكررة،

وإشارات غير معادة، فلذلك نستقصي القول ها هنا وبه الثقة.

تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي (ت 606 هـ)

{ بِسمِ ٱللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ }

{ بِسْمِ } الباء كشف البقاءِ لأهل الفَنَاء والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس

والميم كشف الملكوت لأهل النعوت والباء بره للعموم والسين سره للخصوص والميم محبّته لخصوص الخصوص والباء بدو العبودية والسين سِرّ الربوبية

والميم منه في أزليته على أهل الصفوة والباء من بِسمِ

أي ببهائي بقاء ارواح العارفين في بحار العظمة

والسين من بسم اي بسنائى سمت أسرار السابقين في هواء الهوية

والميم من بسم اى بمجدى وَرَدَت المواجيد الى قلوب الواجدين من انوار المشاهدة.

وروى عن النبى ﷺ " إنَّ الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده "

وقيل في بسم الله: بالله ظهرت الأشياء وبه فنيت وبتجلّيه حُسنتِ المحاسنُ وباستناره فتحت المفاتح .

***

وحكى عن الجنيد أنه قال: أن أهل المعرفة نفوا عن قلوبهم كل شيء سوى الله

فقال لهم: قولوا بسم الله أى بى فتسمّوا ودعوا انتسابكم إلى آدم.

وقيل: أن بسم يبقى به كلُّ الخلق فلو افتتح كتابه بإسمه لذاب تحته حقيقةُ الخلائق

إلا من كان محفوظاً من نبىّ أو وليٍّ

و قال سيدنا جعفر الصادق :

بسم الباء بقاؤه والسين أسماؤه والميم ملكه

فإيمان المؤمن ذكره ببقائه

وخدمةُ المريد ذكره بأسمائه والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها .

***

وأما { ٱللَّه } فإنه إسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع وكلُّ إسم يتعلق بصفة من صفاته إلا الله فإنه يتعلق بذاته وجميع صفاته لأجل ذلك.

وهو إسم الجمع أخبر الحق عن نفسه بإسمه الله

فما يعرفه إلا هو ولا يسمعه إلا هو ولا يتكلّم به إلا هو

لأن الألف إشارة إلى الأنانيّة والوحدانيّة.

ولا سبيل للخلق إلى معرفتها إلا الحق تعالى

وفي إسمه الله لامان

الأول إشارة إلى الجمال والثاني إشارة إلى الجلال

والصفتان لا يعرفها إلا صاحب الصفات والهاءُ إشارةٌ إلى هويته

وهويته لا يعرفها إلا هو والخلق معزولون عن حقائقه فيحتجبون بحروفه

عن مَعْرِفَته بالألف تجلى الحقُّ من أنانيته لقلوب الموحدين فتوحدوا به

وباللام الأول تجلّى الحق من أزليته لأرواح العارفين فانفرد بانفراده

وباللام الثاني تجلّى الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحبّين

فغابوا في بحار حبّه وبالهاء تجلى الحق من هويته لفؤاد المقربين

فَتَاهُوا في بيداء التحير من سَطَوات عظمته.

قال الشبلى: ما قال الله أحد سوى الله فإن كان من قاله بحظ

وأنَّى تدرك الحقائق بالحظوظ .

وقال الشبلىُّ: الله فقيل له لِمَ لا تقول لا إله إلا الله فقال لا أبقى به ضدّا

وقيل في قوله الله هو المانع الذى يمنع الوصول إليه

كما امتنع هذا الإسم عن الوصول إليه حقيقة كان الذات أشد امتناعاً عجزهم

في إظهار إسمه لهم ليعلموا بذلك عجزهم عن درك ذاته .

***

وقيل فى قوله أن الألف إشارة إلى الوحدانية،

واللام الأولى إشارة إلى محو الإشارات،

واللام الثاني إشارة إلى محو المحوق كشف الهاء ،

وقيل الإشارة فى الألف هو قيام الحق بنفسه وانفصاله عن جميع خلقه،

فلا اتصال له بشئ من خلقه كامتناع الألف أن يتصل بشئ من الحروف

ابتداءً بل يتصل الحروف به على حد الإحتياج إليه، واستغنائه عنهم.

وقيل: ليس من أسماء الله إسمٌ يبقى على إسقاط كل حرف منه إلا الله

فإنه الله فاذا أسْقطَت منه الألف يكون لله فاذا أسقطت أحد لامَيْه يكون له

فإذا أسقطت اللامين بقى الهاء وهو غايةُ الإشارة.

وقال بعضهم : الباء باب خزانة الله والسين سين الرسالة والميم ملك الولاية.

وقال بعضهم : بالله سَلِمت قلوب أولياء الله من عذاب الله

وبنقطته تطرقت أسرار أصفياء الله الى حضرته

وبرحمته تفردَّت أفئدة خواص عباده معه.

***

وقال بعضهم بالله تحيّرت قلوب العارفين فى علم ذات الله

وبشفقته توصّلَتُ علوم العالمين إلى صفات الله

وبرحمته أدركت عقول المؤمنين شواهد ما أشهدهُم الله من بيان الله

وقيل بإلهيته تفرَّدت قلوب عباد الله وبتعطُّفِه صفت أرواحُ محبيه

وبرحمته ذَكرت نفوس عابديه .

وقيل :بسم الله ترياق أعطى المؤمنين يدفع الله به عنهم سم الدنيا وضَررهَا .

وقالَ جعفر الصادق : بسم للعامة والله لخاص الخاص.

وقال سهل: الله هو إسم الله الأعظم الذي حوى الأسماء والأسامى كلها.

وبين الألف واللام منه حرف مُكنّى غيب من غيب إلى غيبه وسرٌّ من سرٍّ إلى سِرّه
حقيقةٌ من حقيقةٍ إلى حقيقته لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس

الآخذ من الحلال قواماً ضرورة الإيمان .

وقيل: من قال بالحروف فانه لم يقل الله لأنه خارج عن الحروف والحسوس

والأوهَام والأفهام ,

ولكن رضى منا بذلك لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال.

وحكى أن أبا الحسَنِ النوريَّ بقى في منزله سبعة أيّامٍ لم يأكل ولم يشرب ولم يَنَمُ ويقول فى وَلهة ودهشة الله الله وهو قائمٌ يَدُور فأخبر الجنيد قال انظروا محفوظ عليه أوقاته فقيل أنه يصلّى الفرائض فقال الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان له سبيلاً ثم قال قوموا حتى نزوره أمّا ان نستفيد منه او نفيده فدخل عليه وهو في وَلَهه وقال يا أبا الحسن ما الذى ولهك قال ثم قول الله الله زيدوا عليّ فقال له الجنيد انظر هل قولك الله الله ام قولك إن كان كنت القائل الله الله فلست القائل له وإن كنت تقول بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله قال : نِعمَ المؤدب كنت وسكن من ولَهه.

أمّا قوله : { الرَّحْمٰنِ } رحم على أوليائه بسم الرحمٰن بتعريف نفسه لهم حتّى عَرَفوا به أسماءه وصفاته وجلاله وجماله وبه خرجت جميع الكرامات للأبدال والصديقين وبه تهيّات أسرار المقامات للأصفياء والمقربين وبه تجلت أنوار المعارف للأتقياء والعارفين

لأن إسم الرحمٰن مخبرٌ عن خلق الخلق وكرمه على جميع الخلق

وفى إسمه الرحمن ترويح أرواح الموحدين ومزيد أفراح العارفين وتربية أشباح العالمين وفيه نزهة المحبّين وبَهْجة الشائقين وفرحة العاشقين وأمان المذنبين ورجاء الخائفين .

وقال بعضهم: إسمه الرحمن حلاوة المنّة ومشاهدة القرية ومحافظة الحرمة.

وقال ابن عطاء :في إسمه الرحمن عونه ونصرته .

وقوله { الرَّحِيـمِ } موهبة الخاص لأهل الخاص ،هو مستند لذوي العثرات، ومسرّة لاهل القربات، والرّحمن مطيّة السالكين تسير بهم إلى معدن العناية، والرحيم حبل الحق المجذوبين تجذبهم به إلى حِجَال الوصلة.

باسم الرحمن اَمَنهم من العقاب

وباسمه الرّحيم آتَاهُم من نفائس الثواب الأول مفتاح المكاشفة

والآخر.. مرقاة المشاهدة

بإسمه الرحمن فتح لَهُمُ الغيوب

وباسمه الرحيم غفر لهم الذنوب.

***

وقال ابن عطاء: في إسمه الرحيم مودّة ومحبّة وعن جعفر بن محمد

فى قوله { الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ } انه قال :هو واقع على المريدين والمرادين

فاسم الرحمن للمرادين لاستغراقهم فى أنوار الحقائق والرحيم للمريدين

لبقائهم مع أنفسهم واشتغالهم بالظاهر.

تفسير تفسير القرآن / ابن عربي ت 638 هـ *

{ بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ }

اسم الشيء ما يعرف به، فأسماء الله تعالى هي الصور النوعية التي تدلّ بخصائصها وهوياتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعينها على وحدته،

إذ هي ظواهره التي بها يعرف و { الله } اسم للذات الإلهية

من حيث هي هي على الإطلاق،

لا باعتبار اتصافها بالصفات، ولا باعتبار لا اتصافها .

و { الرحمن } هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة وتحتمل القوابل على وجه البداية و { الرحيم } هو المفيض للكمال المعنويّ المخصوص بالنوع الإنساني بحسب النهاية،

ولهذا قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة

ورحيم الآخرة فمعناه بالصورة الإنسانية الكاملة الجامعة الرحمة العامّة والخاصة،

التي هي مظهر الذات الإلهي والحق الأعظمي مع جميع الصفات ابداً واقرأ،

وهي الإسم الأعظم وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله :

" أوتيت جوامع الكلم، وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

إذ الكلمات حقائق الموجودات وأعيانها كما سُمي عيسى عليه السلام كلمة من الله، ومكارم الأخلاق حالاتها وخواصها التي هي مصادر أفعالها جميعها محصورة

في الكون الجامع الإنساني وههنا لطيفة وهي أن الأنبياء عليهم السلام

وضعوا حروف التهجي بإزاء مراتب الموجودات

وقد وجدت في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام

وأمير المؤمنين علي عليه السلام وبعض الصحابة ما يشير إلى ذلك ولهذا قيل: ظهرت الموجودات من باء بسم الله..

إذ هي الحرف الذي يلي الألف الموضوعة بإزاء ذات الله فهي إشارة إلى العقل الأول الذي هو أول ما خلق الله المخاطب بقوله تعالى:

"ما خلقت خلقاً أحب إليّ ولا أكرم عليّ منك

بك أعطي، وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب " الحديث

والحروف الملفوظة لهذه الكلمة ثمانية عشر،

والمكتوبة تسعة عشر وإذا انفصلت الكلمات انفصلت الحروف إلى اثنين وعشرين، فالثمانية عشر إشارة إلى العوالم المعبر عنها بثمانية عشر ألف عالم،

إذ الألف هو العدد التام المشتمل على باقي مراتب الأعداد فهو

أمّ المراتب

الذي لا عدد فوقه، فعبر بها عن أمّهات العوالم التي هي عالم الجبروت،

وعالم الملكوت، والعرش، والكرسي، والسموات السبع، والعناصر الأربعة،

والمواليد الثلاثة التي ينفصل كل واحد منها إلى جزئياته والتسعة عشر إشارة إليها

مع العالم الإنساني، فإنه وإن كان داخلاً في عالم الحيوان

إلا أنه باعتبار شرفه وجامعيته للكل وحصره للوجود عالم آخر

له شأن وجنس برأسه له برهان، كجبريل من بين الملائكة في قوله تعالى:

وَمَلَآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ البقرة، الآية: 98

والألفات الثلاثة المحتجبة التي هي تتمة الإثنين والعشرين عند الإنفصال

إشارة إلى العالم الإلهيّ الحقّ،

باعتبار الذات، والصفات، والأفعال فهي ثلاثة عوالم عند التفصيل،

وعالم واحد عند التحقيق، والثلاثة المكتوبة إشارة إلى ظهور تلك العوالم

على المظهر الأعظميّ الإنسانيّ ولاحتجاب العالم الإلهي .

{ بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ }

حين سُئل رسول الله ﷺ عن ألف الباء من أين ذهبت؟

قال ﷺ: سرقها الشيطان.

ومن إلهامات الحديث أنها سُرقت مننا لأننا لم نقم بها أى لم نكن ألف فى الألفة لبعضنا

ولا مع الألف الأكبر فى القيام بحق حضرتها لله _قدرى_

وأمر بتطويل باء بسم الله تعويضاً عن ألفها إشارة إلى احتجاب ألوهية الإلهية

في صورة الرحمة الإنتشارية وظهورها في الصورة الإنسانية بحيث

لا يعرفها إلا أهلها، ولهذا نكرت في الوضع وقد ورد في الحديث

" إن الله تعالى خلق آدم على صورته "

فالذات محجوبة بالصفات، والصفات بالأفعال، والأفعال بالأكوان والآثار

فمن تجلّت عليه الأفعال بارتفاع حجب الأكوان توكل،

ومن تجلّت عليه الصفات بارتفاع حجب الأفعال رضي وسلّم.

ومن تجلّت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فني في الوحدة فصار موحداً مطلقاً فاعلاً ما فعل وقارئاً ما قرأ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ،

فتوحيد الأفعال مقدّم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات

وإلى الثلاثة أشار صلوات الله عليه في سجوده بقوله :

" أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك "

(روح البيان في تفسير القرآن/ إسماعيل حقي (ت 1127 هـ *

{ بِسمِ ٱلله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ }

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأصح المقبول عند متأخرى الحنفية أن البسملة آية فذة ليست جزأ من سورة أنزلت للفصل والتبرك بالابتداء كما بذكرها في كل أمر ذى بال وهى مفتاح القرآن

وأول ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ وأول ما نزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها وأول ما جرى به القلم فى اللوح المحفوظ.

وأول ما نزل على آدم عليه السلام وحكمة تأخرها عن الإستعاذة تقدم التخلية بالمعجمة على التحلية والإعراض عما سوى الله.

على الإقبال والتوجه إليه { بسم الله } كانت الكفار يبدؤون باسماء آلـهتهم

فيقولون: باسم اللات والعزى فوجب أن يقصد الموحد.

معنى اختصاص إسم الله عز وجل بالإبتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل

فلذلك قدر المحذوف متأخراً أى باسم الله أقرأ أو أتلو أو غير ذلك

مما جعلت التسمية مبدأ له.

قالوا: وأودع جميع العلوم في الباء أى بى كان ما كان.

وبى يكون ما يكون فوجود العوالم بى وليس لغيرى وجود حقيقى ..

إلا بالإسم والمجاز وهو معنى قولهم ما نظرت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله

ومعنى قوله عليه السلام :

لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله

فإن قلت :ما الحكمة والسر في أن الله تعالى جعل افتتاح كتابه بحرف الباء

واختارها من سائر الحروف لا سيما على الألف فإنه أسقط الألف من الإسم

وأثبت مكانه الباء في باسم

فالجواب: في افتتاح الله بالباء عشرة معان: ــــ

أحدها أن فى الألف ترفعا وتكبرا وتطاولا وفى الباء انكسارا وتواضعا وتساقطا

فمن تواضع لله رفعه الله .

وثانيها أن الباء مخصوصة بالإلصاق بخلاف أكثر الحروف

خصوصا الألف من حروف القطع.

ثالثها أن الباء مكسوره أبداً فلما كانت فيها كسرة وانكسار في الصوره

وجدت شرف العندية من الله تعالى كما قال الله تعالى:

" أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى "

ورابعها أن فى الباء تساقطاً وتكسراً فى الظاهر ولكن هى رفعة درجة وعلو همة

فى الحقيقة وهى من صفات الصديقين وفى الألف ضدها

أما رفعة درجتها فبأنها أعطيت نقطة وليست للألف هذه الدرجة,

وأما علو الهمة فإنه لما عرضت عليها النقط ما قبلت إلا واحدة ليكون حالها

كحال محب لا يقبل إلا محبوبا واحدا.

وخامسها إن فى الباء صِدقا فى طلب قُربة الحق

لأنها

لما وجدت درجة حصول النقطة وضعتها تحت قدمها، وما تفاخرت بها ،

ولا يناقضه الجيم والياء لأن نقطهما فى وضع الحروف ليست تحتهما

بل فى وسطهما ،وأنما موضع النقط تحتهما عند اتصالهما بحرف آخر

لئلا يشتبها بالخاء والتاء بخلاف الباء فإن نقطتها موضوعة تحتها

سواء كانت مفردة أو متصلة بحرف آخر .

وسادسها أن الألف حرف علة بخلاف الباء.

وسابعها أن الباء حرف تام متبوع فى المعنى وإن كان تابعا صورة

من حيث أن موضعه بعد الألف فى وضع الحروف وذلك لأن الألف فى لفظ الباء
يتبعه بخلاف لفظ الألف فإن الباء لا يتبعه والمتبوع فى المعنى أقوى.

وثامنها أن الباء حرف عامل ومتصرف فى غيره فظهر لها من هذا الوجه قدر
وقدرة فصلحت للإبتداء بخلاف الألف فانه ليس بعامل.

وتاسعها أن الباء حرف كامل فى صفات نفسه بأنه للإلصاق والإستعانة والإضافة
مكمل لغيره بأن يخفض الإسم التابع له ويجعله مكسوراً متصفاً بصفات نفسه

وله علو وقدرة في تكميل الغير بالتوحيد والإرشاد كما أشار إليه .

سيدنا على رضى الله عنه

بقوله : أن النقطة تحت الباء فالباء له مرتبة الإرشاد والدلالة على التوحيد

وعاشرها أن الباء حرف شفوى تنفتح الشفة به ما لا تنفتح بغيره

من الحروف الشفوية ،ولذلك كان أول انفتاح فم الذرة الإنسانية

فى عهد ألست بربكم بالباء فى جواب بلى

فلما كان الباء أول حرف نطق به الإنسان وفتح به فمه

وكان مخصوصا بهذه المعانى اقتضت الحكمة الإلهية اختياره من سائر الحروف
فاختارها ورفع قدرها وأظهر برهانها وجعلها مفتاح كتابه ومبدأ كلامه،

وخطا به تعالى وتقدس كذا فى _التأويلات النجمية _كتاب تفسير_

وإسم الله ما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته

أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم ،

أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء ،

كما فى شرح المشارق لإبن الملك

ثم المختار أن كلمة الله هو الإسم الأعظم .

فإن سأل سائل وقال: إن من شرط الإسم الأعظم أنه إن دُعي الله به أجاب

وإن سُئل به أعطى فنحن ندعو به ونسأل ولم نر الإجابه في أكثر الأوقات

قلنا: أن للدعاء آدابا وشرائط لا يستجاب الدعاء إلا بها

كما أن للصلاة كذلك فأول شرائطه إصلاح الباطن باللقمة الحلال

وقد قيل: " الدعاء مفتاح السماء وأسنانه لقمه حلال "

وآخر شرائطه الإخلاص وحضور القلب كما قال الله تعالى:

فادعوا الله مخلصين له الدين.

فإن حركة الإنسان باللسان وصياحه من غير حضور القلب

و وله الواقف على الباب وصوت الحارس على السطح

.أما اذا كان حاضرا فالقلب الحاضر فى الحضرة شفيع له

قال الشيخ مؤيد الدين الجندى: قُدس سره أن للإسم الأعظم الذى اشتهر ذكره

وطاب خبره ووجب طيه وحرُم نشره من عالم الحقائق والمعانى حقيقة ومعنى

ومن عالم الصور والألفاظ صورة ولفظا أما حقيقته

فهى أحدية جمع جميع الحقائق الجمعية الكمالية كلها .

وأما معناه فهو الإنسان الكامل فى كل عصر، وهو قطب الأقطاب حامل الأمانة الالهية خليفة الله وأما صورته فهى صورة كامل ذلك العصر،

وعلمه كان محرماَ على سائر الأمم لما لم تكن الحقيقة الإنسانية ظهرت بعد

في أكمل صورته بل كانت في ظهورها بحسب قابلية كامل ذلك العصر فحسب

فلما وجد معنى الإسم الأعظم وصورته ..

بوجود الرسول ﷺ أباح الله العلم به كرامة له . _ولنا_

الرحمن

الرحمة فى اللغة رقة القلب والإنعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها

والمراد بها ههنا هو التفضل والإحسان أو ارادتهما بطريق إطلاق إسم السبب

بالنسبة إلينا على مسببه البعيد أو القريب فإن أسماء الله تؤخذ باعتبار الغايات

التى هي أفعال دون المبادىء التي هى إنفعالات..

فالمعنى العاطف على خلقه بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم لا يزيد فى رزق المتقى مقابل تقواه ولا ينقص من رزق الفاجر مقابل فجوره بل يرزق الكل بما يشاء

الرحيم المترحم إذا سئل أعطى وإذا لم يسأل غضب ..

وبنى آدم حين يُسأل يغضب.

***

واعلم أن الرحمة من صفات الذات وهو إرادته إيصال الخير ودفع الشر

والإرادة صفة الذات لأن الله تعالى لو لم يكن موصوفا بهذه الصفة

لما خلق الموجودات فلما خلق الخلق علمنا أن رحمته صفة ذاتية

لأن الخلق إيصال خير الوجود إلى المخلوق

ودفع شر العدم عنهم فإن الوجود خير كله .

قال الشيخ القيصرى: إعلم أن الرحمة صفة من الصفات الإلهية

وهى حقيقة واحدة لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية أى تقتضيها أسماء الذات

وأسماء الصفات وكل منهما عامة وخاصة فصارت أربعا ويتفرع منها

إلى أن يصير المجموع مائة رحمة وإليها أشار رسول الله ﷺ بقوله

إن لله مائة رحمة أعطى واحدة منها لأهل الدنيا كلها

وادخر تسعا وتسعين إلى الآخرة يرحم بها عباده .

فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء فى البسملة من الرحمن الرحيم

والرحمة الرحمانية

عامة لشمول الذات جميع الأشياء علما وعينا

والرحيمية

خاصة لأنها تفصيل تلك الرحمة العامة الموجب لتعيين كل من الأعيان

بالاستعداد الخاص بالفيض الأقدس والصفاتية ما ذكره فى الفاتحة.

من الرحمن الرحيم .

الأولى عامة الحكم لترتبها على ما أفاض الوجود العام العلمى

من الرحمة العامة الذاتية ..

والثانية خاصة وتخصيصها بحسب استعداد الأصلى

الذى لكل عين من الأعيان ..

***

وهما نتيجتان للرحمتين الذاتيتين العامة والخاصة. إنتهى كلامه

قالوا: لله تعالى ثلاثة آلاف إسم الف عرفها الملائكة لا غير

وألف عرفها الأنبياء لا غير وثلاثمائة فى التوراة

وثلاثمائة فى الإنجيل وثلاثمائة فى الزبور

, وتسعة وتسعون في القرآن وواحد استأثر الله به .

ثم معنى هذه الثلاثة آلاف فى هذه الأسماء الثلاثة فمن علمها وقالها

فكأنما ذكر الله تعالى بكل أسمائه.

***

وفى الخبر أن النبى ﷺ قال :

ليلة أسرى بى إلى السماء عُرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار

نهراً من ماء ونهراً من لبن ونهراً نم خمر ونهراً من عسل فقلت يا جبريل

من أين تجيئ هذه الأنهار وإلى أين تذهب قال: تذهب إلى حوض الكوثر

ولا أدرى من أين تجئ فادع الله تعالى ليعلمك أو يريك فدعا ربه فجاء ملك

فسلم على النبى ﷺ ثم قال: يا محمد أغمض عينيك، قال: فغمضت عينى

ثم قال: افتح عينيك ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء

ولها باب من ذهب أحمر وقفل لو أن جميع ما فى الدنيا من الجن والإنس

وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل فرأيت هذه الأنهار الأربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لى: ذلك الملك لم لا تدخل القبة قلت: كيف أدخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندى قال :مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم

فلما دنوت من القفل وقلت بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ انفتح القفل فدخلت فى القبة

فرأيت هذه الانهار تجرى من أربعة اركان القبة ورأيت مكتوبا على أربعة اركان القبة بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله

ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن

ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من البسملة

فقال الله عز وجل: يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك بقلب خالص من رياء وقال: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ سقيته من هذه الأنهار.

***.

وفى الحديث

لا يرد دعاء أوله بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وذكر الشيخ احمد البونى فى لطائف الإشارات:

أن شجرة الوجود تفرعت عن بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وأن العالم كله قائم بها جملة وتفصيلا

فلذلك من أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوى والسفلى

وكتب قيصر ملك الروم إلى عمررضى الله عنه

أن بي صداعاً لا يسكن فابعث لي دواء إن كان عندك فإن الأطباء عجزوا

عن المعالجة فبعث عمر رضي الله عنه قلنسوة فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه فتعجب منه ففتش فى القلنسوة

فاذا فيها كاغد مكتوب عليه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات: إذا قرأت فاتحة الكتاب فصِل بسملتها

معها في نفس واحد من غير قطع، وعن محمد المصطفى ﷺ

حالفاً عن جبريل عليه السلام حالفاً عن ميكائيل عليه السلام

حالفا عن إسرافيل عليه السلام قال الله تعالى :

{ بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيـمِ }

يا إسرافيل بعزتي وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا علىَّ أنى قد غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات

***

سورة فاتحة الكتاب

وجه التسمية بفاتحة الكتاب إما لافتتاح المصاحف والتعليم وقراءة القرآن

والصلاة بها وإما لأن الحمد فاتحة كل كلام.

وإما لأنها أول سورة نزلت وإما لأنها أول ما كتب في اللوح المحفوظ

وإما لأنها فاتحة أبواب المقاصد فى الدنيا وأبواب الجنان فى العقبى

وإما لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان لأن من عرف معانيها

يفتح بها أقفال المتشابهات ويتقبس بسناها أنوار الآيات وسميت بأم القرآن

وما الشئ أصله لأن المقصود من كل القرآن تقرير

أمور أربعة

إقرار بالألوهية والنبوة وإثبات القضاء والقدرة لله تعالى

فقوله: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الألوهيه

وقوله :مالك يوم الدين يدل على المعاد

وقوله :

إياك نعبد وإياك نستعين الفاتحة 5

على نفى الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله تعالى

***

وسميت بالسبع المثانى لانها سبع آيات

أو لأن كل آية منها تقوم مقام سبع من القرآن فمن قرأها أعطى ثواب قراءة الكل

أو لأن من فتح فاه بقراءة آياتها السبع غلقت عنه أبواب النيران السبعة

هذه وجوه التسمية بالسبع

وأما بالمثانى فلأنها تثنى فى كل صلاة أو فى كل ركعة بالنسبة إلى الأخرى

أو المراد تشفع فى كل ركعة سورة حقيقية

أو حكما

أو لأن نزولها مرتين مرة فى مكة ومرة فى المدينة

وسميت بسورة الصلاة وسورة الشفاء والشافية وأساس القرآن والكافية والوافية

وسورة الحمد وسورة السؤال وسورة الشكر وسورة الدعاء لاشتمالها عليها
وسورة الكنز لما يروى أن الله تعالى قال :

" فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى "

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة (ت 1224 هـ *

---

* { بِسمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ } * { ٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ }

{ ٱلرَّحْمـٰنِ ٱلرَّحِيمِ } * { مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ }

قلت: { الحمد } مبتدأ، و { الله } خبر، وأصله النصب، وقرئ به،

والأصل: أحمد الله حمداً، وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته،
دون تجدده وحدوثه، وفيه تعليم اللفظ مع تعريض الاستغناء

***

والتعريف للجنس أي: للحقيقة من حيث هي، من غير قيد شيوعها،

ومعناه: الإشارة إلى ما يَعْرِفه كل أحد أن الحمد ما هو أو للاستغراق

إذ الحمد في الحقيقة كُلُّه لله

إذ ما من خير إلا وهو مُولِيهِ بواسطة وبغير واسطة كما قال:

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ النّحل: 53 ،

وقيل: للعهد، والمعهودُ حمدُه تعالى نَفْسَه في أزله.

ومعناه في اللغة: الثناءُ بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل،

وفي العُرف: فعل يُنبئ عن تعظيم المُنعم بسبب كونه منعماً .

والشكر في اللغة: فعل يُشعر بتعظيم المنعم، فهو مرادف للحمد العرفي،

وفي العرف: صرفُ العبد جميعَ ما أنعم الله عليه من السمع والبصر

إلى ما خُلِقَ لأجله وأعطاه

و { الله } اسم مُرْتَجَلٌ جامد،

***

والألف واللام فيه لازمة لا للتعريف،

قال الواحدي: إسم تفرِّد به الباري سبحانه

يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام، لا يُعرف له اشتقاق،

وقال الأقْلِيشي: إن هذا الاسم مهما لم يكن مشتقّاً كان دليلاً على عين الذات،

دون أن يُنظر فيها إلى صفة من الصفات،

وليس باسمٍ مشتق من صفة، كالعالِم والحق والخالق والرازق،

فالألف واللام على هذا في الله من نفس الكلمة،

***

واختاره الغزالي، وقال: كل ما قيل في اشتقاقه فهو تعسُّف

وقيل: مشتق من التَّألُّهِ وهو التعبد،

وقيل: من الوَلَهَان، وهو الحيرة؟ لتحيُّر العقول في شأنه

وقيل: أصله: الإلهُ و { رب } نعت { لله } ، وهو في الأصل: مصدر بمعنى التربية، وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وُصف به للمبالغة كالصوم والعدل

وقيل: هو وصفٌ من رَبِّه يَرُبُّهُ، وأصله: رَبَبَ ثم أُدغم، سُمي به المالكُ

لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه، ولا يطلق على غيره تعالى

إلا بقيد كقوله تعالى:{ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ } يُوسُف: 50

قال ابن جُزَيّ: ومعانيه أربعة: الإله والسيد والمالك والمصلح،

وكلها تصلح في رب العالمين، إلا أن الأرجح في معناه،

الإله لاختصاصه بالله تعالى

و { العالمين } جمع عالَم، والعالَمُ: اسم لما يُعْلَمُ به، كالخاتم لما يُختم به،

والطابع لما يطبع به غلب فيما يُعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض، فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مُؤثرٍ واجبٍ لذاته، تدل على وجوده،

وإنما جُمع ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة،

وقيل: اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين،

وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع، وقيل: عني به هنا الناس،

فإن كل واحد منهم عالَمٌ، حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير،

ولذا سوّى بين النظر فيهما فقال

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ الذّاريَات: 21

***

قلت : وإليه يشير قول الشاعر

أنْتَ الكمَالُ طَرِيقَةً وحَقِيقَةً يا جَامِعاً سِرَّ الإلّهِ بِأَسْرِه

يا تَائهاً في مَهْمَهٍ عَنْ سِرِّه انْظُرْ تجِدْ فِيكَ الوُجُودُ بأَسْرِه

و { الرحمن الرحيم } اسمان بُنيا للمبالغة، من رَحِمَ، كالغضبان من غضب،

والعليم من علم، والرحمة في اللغة، رَقَّةُ القلب،

وانعطافٌ يقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرَّحِم لانعطافها على ما فيها

وأسماء الله تعالى إنما تُؤخذ باعتبار الغايات،

التي هي أفعال، دون المبادئ التي هي انفعالات،

و { الرحمن } أبلغ من { الرحيم } لأن زيادةَ المبنى تدل على زيادة المعنى،

كقَطَّعَ وقَطَعَ،

وذلك إنما يُؤخذ تارة باعتبار الكمية، وأخرى باعتباره الكيفية

فعلى الأول: قيل: يا

رحمنَ الدنيا لأنه يَعُمُّ المؤمنَ والكافر،

ورحيمَ الآخرة لأنه يختص بالمؤمن،

وعلى الثاني قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية

كلها جِسَام، وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدّم الرحمن

والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى - لتقدُّم رحمة الدنيا، -

ولأنه صار كالعَلَم من حيث إنه لا يوصف به غيره،

لأن معناه المنعم الحقيقي البالغُ في الرحمة غايتَها،

وذلك لا يصدُق على غيره تعالى.

***

و { مَلِكَ } نِعت لما قبله، قراءةُ الجماعة بغير ألف من المُلك بالضم،

وقرأ عاصم والكسائي بالألف، من المِلك بالكسر،

والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين، أو مالك الأمر يوم الدين

وقراءةُ الجماعة أرجح، لثلاثة أوجه :

الأول: أن الملك أعظم من مالك، إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله،

وأما المَلِكُ فهو سيد الناس،

والثاني: قوله

وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ الأنعَام: 73

والثالث: أنها لا تقتضي حذفاً، والحدف خلاف الأصل و { يوم الدين }

ظرف مضاف إلى ما قبله على طريق الاتساع والمعنى على الظرفية،

أي: الملك في يوم الدين، أو ملك الأمر يوم الدين، فيكون فيه حذف

وقد رُويت القراءتان - أي: القصر والمد - عن النبيّ ﷺ

وقد قرئ { ملك } بوجوه كثيرة تركنا ذكرها لشذوذها

فإن قيل: ملك ومالك نكرة لأن إضافة اسم الفاعل لا تُخصص.

***

قاله ابن جُزَيّ يقول الحقّ جلّ جلاله مُعلّماً لعباده

كيف يُثْنُونَ عليه ويعظمونه ثم يسألونه؟

يا عبادي قولوا الحمد لله رب العالمين

أي: الثناء الجميل إنما يستحقه العظيم الجليل، فلا يستحق الحمدَ سواه،

إذ لا منعم على الحقيقة إلا الله

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ النّحل: 53

أو جميعُ المحامدِ كلُّها لله، أو الحمدُ المعهودُ في الأذهان هو حمدُ الله تعالى نفسَه في أزله، قبل أن يُوجِدَ خلقّه، فلما أوجد خلقه قال لهم: الحمد لله، أي: احْمَدُوني

بذلك المعهود في الأزل وإنما استحق الحمد وحده لأنه ربّ العالمين .

***

وكأن سائلاً سأله: لم اختصصت بالحمد؟ فقال: لأني ربُّ العالمين،

أنا أوجدتُهم برحمتي، وأمددتهم بنعمتي، فلا منعم غيري، فاستحققت الحمد وحدي، مِنِّي كان الإيجاد وعليَّ توالي الإِمْدَاد، فأنا ربُّ العباد، فالعوالم كلها

– على تعدد أجناسها واختلاف أنواعها -

في قبضتي وتحت تربيتي ورعايتي قال بعضهم: خلق الله ثمانيةَ عَشرَ ألف عالَم، نصفها في البر ونصفها في البحر

وقال الفخرُ الرازي: رُوِيَ أن بني آدم عُشْرُ الجن،

وبنو آدم والجنُ عُشْرُ حيوانات البر، وهؤلاء كلُّهم عشر الطيور،

وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين ببني آدم، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا،

وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الثانية،

ثم على هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة،

ثم الكلُّ في مقابلة الكرسي نَزْرٌ قليل،

ثم هؤلاء عشر ملائكة السُّرَادِق الواحد من سُرادقات العرش،

التي عددُها: مائةُ ألف، طول كل سرادق وعرضُه

إذا قُوبلتْ به السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما

يكون شيئاً يسيراً ونَزْراً قليلاً وما من موضع شِبْرٍ، إلا وفيه مَلَكٌ ساجد أو راكع

أو قائم، وله زَجَل بالتسبيح والتهليل

ثم هؤلاء كلهم في مقابلة الذين يَجُولُون حول العرش كالقطرة في البحر،

ولا يَعلم عددّهم إلا الله تعالى _وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ_ المدَّثِر: 31

****

ثم هذه التربية التي ربى سبحانه بها خلقه إنما هي رحمة منه وإحسان،

، لا لزوم عليه وإيجاب، ولذلك وصلَه بقوله: الرحمن الرحيم

أي: الرحمن بنعمة الإيجاد، الرحيم بنعمة الإمداد

نعمتان ما خلا موجود عنهما، ولا بد لكل مُكَوَّنَ منهما: نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد،
أنعم أولاً بالإيجاد، وثنى بتوالي الإمداد

كما في الحِكَم فاسمُه الرحمن

يقتضي إيجادَ الأشياء وإبرازها، واسمه { الرحيم } يقتضي تربيتَها وإمدادها

ولذلك لا يجوز إطلاق اسم { الرحمان } على أحد،

ولم يَتَسَمَّ أحد به إذ الإيجاد لا يصح من غيره تعالى، بخلاف اسمه الرحيم

فيجوز إطلاقه على غيره تعالى لمشاركة صدور الإمداد في الظاهر

من بعض المخلوقات مجازاً وعاريةً

أو: الرحمن في الدنيا والآخرة، والرحيم في الآخرة

لأن رحمة الآخرة خاصة بالمؤمنين أو الرحمن بجلائل النعم والرحيم بدقائقها،
فجلائل النعم مثل :

نعمة الإسلام والإيمان والإحسان، والمعرفة والهداية،

وكشف الحجاب وفتح الباب والدخول مع الأحباب،

ودقائقُ النعم مثل :

الصحة والعافية والمال الحلال، وغير ذلك مما يأتي ذكره في المُنْعَم عليهم

ثم من تحقق منه الإيجادُ والإمداد استحق أن يكون ملكاً لجميع العباد،

ولذلك ذكرَهِ بِأَثَره فقال:

ملك يوم الدين أي: المتصرف في عباده كيف شاء،

لا رادّ لما قضى ولا مانع لما أعطى، فهو ملكُ الملوك رب الأرباب في هذه الدار
وفي تلك الدار وإنما خصّ يوم الدين - وهو يوم الجزاء - بالملكية لأن ذلك اليوم
يظهرُ فيه المُلْكُ لله عيَاناً لجميع الخلق، فإن الله تعالى يتجلّى لفصل عباده،

حتى يراه المؤمنون عياناً، بخلاف الدنيا

فإن تصرفه تعالى لا يفهمه إلا الكَمَلَةُ من المؤمنين،

ولذلك ادَّعى كثير من الجهلة الملكَ ونسبوه لأنفسهم

ويوم القيامة ينفرد الملك لله عند الخاص والعام،

قال تعالى: لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ غافر: 16

الإشارة: لما تلجَّى الحق سبحانه من عالَم الجبروت إلى عالم الملكوت،

أو تقول: من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، حمد نفسه بنفسه، ومجَّد نفسه بنفسه،

ووحَّد نفسه بنفسه.

***

ولله دَرُّ الهَرَوِيّ، حيث قال :

ما وَحَّدَ الواحِدَ مِنْ واحِدِ إذ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ

توحيدُ مَنْ ينطقُ عن نَعْتِهِ عاريةٌ أَبْطَلَهَا الواحِدُ

توحيدُه إياه توحيدُه ونعتُ من يَنْعَتُه لاَحِدُ

فقال في توحيد نفسه بنفسه مترجماً عن نفسه بنفسه: { الحمد لله رب العالمين } ، فكأنه يقول في عنوان كتابه وسر خطابه: أنا الحامد والمحمود،

وأنا القائم بكل موجود، أنا رب الأرباب، وأنا مسبب الأسباب لمن فهم الخطاب،

أنا رب العالمين، أنا قيوم السموات والأرَضين، بل أنا المتوحِّدُ في وجودي،

والمتجلِّي لعبادي بكرمي وجودي، فالعوالم كلها ثابتة بإثباتي،

مَمْحُوَّةٌ بأحدية ذاتي ,

***

قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد لله

ولم يقل: { رب العالمين } ، فقال له الجنيد: كَمِّلْهَا يا أخي،

!فقال الرجل: وأيّ قَدْر للعالمين حتى تُذكر معه؟

فقال الجنيد :

قُلها يا أخي فإن الحادث إذا قُرن بالقديم تلاشى الحادث

وبقي القديم يقول سبحانه

يا مَن هو مني قريب، تَدبر سِرِّي فإنه غريب أنا المحبُ، وأنا الحبيب،

وأنا القريب، وأنا المجيب، أنا الرحيم الرحمن، وأنا الملك الديّان،

أنا الرحمن بنعمة الإيجاد، والرحيمُ بتوالي الإمداد منِّي كان الإيجاد،

وعليَّ دوام الإمداد، وأنا رب العباد، أنا الملك الديَّان،

وأنا المجازي بالإحسان على الإحسان، أنا الملك على الإطلاق،

لولا جهالة أهل العناد والشقاق، الأمر لنا على الدوام، لمن فهم عنا من الأنام

قال في الرسائل الكبرى :

لا عبرة بظواهر الأشياء، وإنما العبرة بالسر المكنون،

وليس ذلك إلا بظهور أمر الحق وارتفاع غَطَائه وزوال أستاره وخفائه

، فإذا تحقق ذلك التجلّي والظهور،

واستولى على الأشياء الفناءُ والدُّثُور، وانقشعت الظلمات بإشراق النور،

فهناك يبدو عينُ ويَحِقُّ الحق المبين، وعند ذلك تبطل دعوى المدعين،

كما يفهم العامة بطلان ذلك في يوم الدين، حين يكون الملك لله رب العالمين،

وليت شعري أيُّ وقت كان الملكُ لسواه حتى يقع التقييد بقوله :

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّهَ الانفِطار: 19

وقوله: وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ الحَجّ: 56

***

تم بحمد الله

2024 /9/3

إعداد راجي عطف الرحمن الرحيم

قدري جاد

الهرم/ علي بن أبي طالب

***